

سلسلة المشكلات السلوكية للأطفال

الكذب نجي

سلوك الأطفال

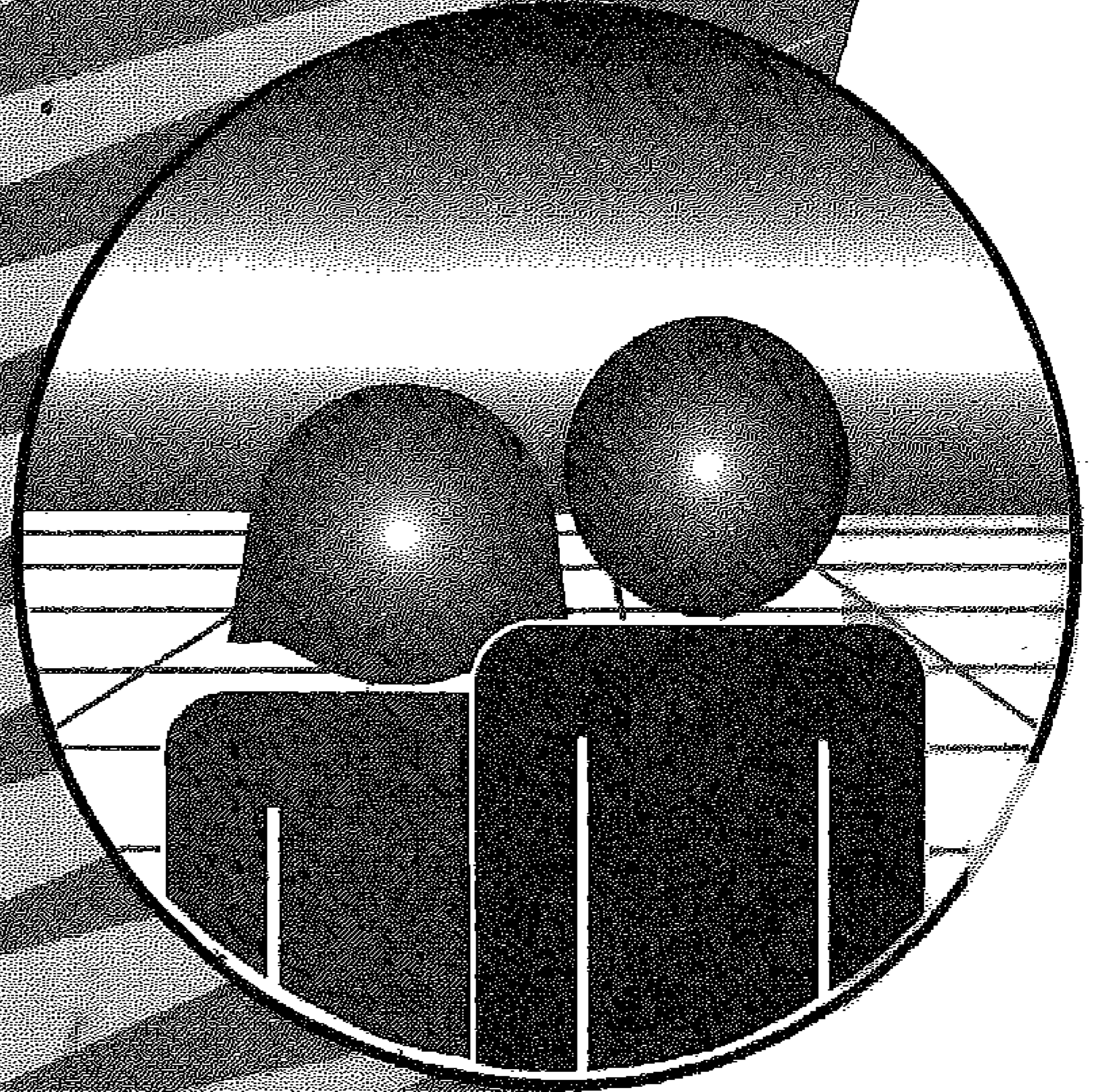
إعداد:

محمد علي قطب الهمشري

وفاء محمد عبد الجواد

علي إسماعيل محمد

مكتبة العبيكان



مشكلة الكذب

في

سلوك الأطفال

إعداد:

محمد علي الهمشري

وفاء محمد عبد الجواد

علي إسماعيل محمد



تقديم

تعاني الأسرة المسلمة في هذا العصر ما يعانيه غيرها على مستوى العالم أجمع، من ((المشكلات السلوكية)) في تربية الأطفال.

ويبدو أن طبيعة العصر الذي نعيشه، وما جلبته المدنية من تعقيدات نتيجة للتقدم الصناعي والتقني وازدحام السكان في المدن، وطغيان المادية على معظم النشاطات البشرية، والسباق الرهيب بين المجتمعات والأفراد للأخذ بأسباب التقدم، وقضاء الإنسان العادي معظم يومه في المصنع أو المتجر بحيث لا يبقى له سوى سويّعات قليلة يقضيها بين أفراد أسرته ومع أبنائه، إلى جانب ما يحدث الآن في كثير من المجتمعات من اشتغال المرأة بالأعمال العامة سعياً وراء كسب المزيد من المال بذريعة زيادة الدخل وتحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة..

كل ذلك لم يعد يترك للآباء والأمهات الفرص الكافية لرعاية أبنائهم ولملاحظة سلوكياتهم وإشباعهم بالمحبة والعطف والتوجيه، بما يؤدي إلى التوافق مع القيم الإسلامية الخالدة والسلوك الاجتماعي الصحيح، وذلك برغم ما بين أيدينا من كنوز تتمثل في القرآن الكريم وفي الآداب النبوية وفي التراث التربوي الإسلامي الذي إن اتبعناه كفينا أنفسنا وكفينا مجتمعاتنا كثيراً من الشرور.

(والمشكلات التي نواجهها مع أبنائنا اليوم مشكلات عديدة، منها التجاء أبنائنا أحياناً إلى الكذب أو السرقة أو الهرب من المدرسة، ومنها كذلك ما يتصل بالتمرد والعصيان أو بالتدمير والتخريب، ومنها ما يتصل بالفشل الدراسي والاندماج مع صحبة السوء، ومنها مشكلات تتصل بالتدخين والإدمان، ومنها ما يتصل بالاعتداء على الغير والعدوان...إلخ.

وقد لا يفتن الكثيرون منا إلى أنه رغم أن العلوم السلوكية الحديثة كعلم الإنسان، وعلم الاجتماع البشري، وعلم النفس بفروعه المختلفة، ومنها الصحة النفسية، وعلم نفس الجريمة، وعلم النفس الاجتماعي البشري، وعلم نفس الشواذ.. رغم أن هذه العلوم جميعها قد ركزت بحوثها على مثل تلك المشكلات وأنتجت لنا رصيذاً ضخماً من المعرفة حول سلوك الإنسان ودوافعه وطرق حدوث التعلم البشري وتكوين العادات واكتساب المعلومات والمفاهيم والقيم والعواطف والاتجاهات..

رغم كل ذلك فإن رجوعنا إلى تراثنا الإسلامي الخالد متمثلاً في التوجيهات القرآنية المحكمة وفي الحديث الشريف الصحيح وسيرة الرسول والصحابة من بعده والمجتمع الإسلامي.. للتقريب عن عظمته وأحكامه لا يتنافى مع الاستفادة من سائر المصادر المتاحة في المراجع الإسلامية وفيما توصل إليه العلم الحديث لحماية أبنائنا من الوقوع في برائن الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي أشرنا إليها والتي تسيء بالفعل إلى أعظم ما نملك في هذا العالم.. أبنائنا الذين نعدهم لمستقبل أفضل يعود فيه ضياء الإسلام لينشر دفته وحنوه وحكمته على سائر بقاع المعمورة.

إن غاية ما يُطلب منك أيها القارئ العزيز أن تمنح قراءة هذه السلسلة نصف ساعة شهرياً من وقتك الغالي، تطلع فيها على مناقشة إضافية لإحدى المشكلات السلوكية التي يتعرض لها أبنائنا، وإننا لعلّي ثقة من أنك سوف تكرر للهؤلاء الأبناء مثل هذا الوقت على الأقل يومياً؛ لتجلس معهم جلسة عائلية هادئة تتعرف فيها أحوالهم الصحية والانفعالية، والمشكلات التي يعانونها على مستوى المنزل والأسرة، ومستوى المدرسة، ومستوى المجتمع الكبير الذي يندمجون فيه إن عاجلاً وإن آجلاً لقضاء

معظم وقتهم اليومي.. وبذلك تحميهم من الوقوع في مصائد الخطر التي قد تجني على مستقبلهم كمواطنين صالحين يرفعون رايات المجتمع الإسلامي. سوف تعرف الكثير عن مراحل نمو الأطفال وعن الخصائص الجسمية والنفسية لكل مرحلة من تلك المراحل وكيفية التعامل معها، وسوف تعرف الكثير أيضاً عن طبيعة المشكلات التي تعترض الطفل خلال تعامله اليومي في البيت وفي المدرسة وفي المجتمع، وأسباب ظهور تلك المشكلات، وطرق الرعاية والتوجيه اللازم لحمايتهم من الوقوع فيها، وسوف تشعر أنك تقوم بعمل عظيم حقاً من أجل أداء وظيفة الأبوة، كما سوف تشعر الأم والإخوة أنهم يقومون بالفعل بأداء رسالة تربية خطيرة.

قال تعالى: ﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾ وهذا البلد الأمين ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ ثم رددناه أسفل سافلين ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قلهم أجر غير ممنون﴾ فما يكذبك بعد بالدين ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ (سورة التين). وقال جل شأنه: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴿ثم خلقنا النطفةعلقة فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (الآيات ١٢ - ١٤ المؤمنون).

وقال تعالى: ﴿وتقرئ في الأمر حام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم...﴾ (الآية ٥ الحج).

مشكلة الكذب في سلوك الأطفال

((الكذب)) في حياة الإنسان المكلف^(١) من أشد الأمراض الاجتماعية خطراً لأنه يقوض بناء المجتمع ويقضي على بناء الثقة بين أفرادها، ويجعل التشكك والارتياب فيما ينقله الآخرون إلينا بدلاً للاطمئنان والأمان، فكل إنسان يشك ويرتاب فيما يعرض عليه غيره من الناس ولا يصدق ما ينقلونه إليه من أخبار أو نصائح أو معلومات، وشيوع الكذب في مجتمع من المجتمعات هو البداية لتفكك هذا المجتمع وانحلاله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل، الآية: ١٠٥).

لكن كثيراً ما يواجه الآباء والأمهات وغيرهم من المربين مواقف يكون بطل الموقف فيها صغيراً لم يجاوز الرابعة أو السابعة أو التاسعة من العمر - نجده فيها يقوم بأدوار من وجهة نظرنا تحوير للواقع ومجافاة للحقائق وتحايل عليه وليّ ظاهر للوقائع وقلب للمحسوس الملموس إلى صورة أخرى ليس لها في حقيقة الأمر وجود..

انظر إلى الأمثلة التالية:

- إذا رأيت الطفل يبعث الحياة في الجمادات التي حوله، ويتحدث معها كأنها كائن حيّ يشارك في النشاطات التي يقوم بها وينفذ الأوامر - فهل تصفه بالكذب؟

- عندما يشي الصغير بأقرانه في الحضانة أو في الصف الابتدائي لدى المعلمة وينسب إليهم ما لم يفعلوه، كأن يقول إنهم ينتقدون المعلمة، أو أنها لا تعجبهم - فهل يقع هذا ضمن الكذب الذي يَأْثَمُ به الكبار؟

(١) المكلف: البالغ الذي تهيئه سنه وحاله لأن تجري عليه أحكام الشرع.

- إذا رأيت طفلاً يحكي لأقرانه قصة خيالية ينسب فيها إلى نفسه دوراً مهماً بأن يجعل من نفسه بطل القصة مثلاً أو أحد المشاركين فيها - فهل نصفه بالكذب الذي يدخل به في الإثم؟

- عندما ينتحل الطفل عذراً يحمي به نفسه من العقاب الصارخ الذي يوقعه المعلم بمن يقصر في أداء الواجب المنزلي - فهل تتسرع بوصفه بالكذب؟

- إذا تصدق الطفل بمصروفه اليومي من النقود وقال خشية العقاب المتوقع من أبيه إنه اشترى بالنقود حلوى - فهل تعاقبه على أنه كاذب؟

- إذا ادعى الطفل أن لأبيه سيارة فاخرة وأنه يسكن قصرًا فخماً على حين أنه من بيئة متواضعة للغاية - فهل يشهر به على أنه كاذب؟

في الأمثلة السابقة ندرك على الفور أن ثمة فارقاً كبيراً بين الكذب الذي يجري على لسان البالغ المكلف، والحيلة التي يلجأ إليها الصغير لحماية نفسه من العقاب المبرح أو لتعويض الشعور بالنقص أو لوقوعه تحت تأثير خياله الجامح.. ومن الطبيعي ألا يتعجل المربي وصم الطفل بالكذب والأولى من ذلك أن يبحث المشكلة من جذورها فيتعرف الدوافع والظروف والبيئة التي جعلت الطفل يسلك مثل هذا السلوك.

ولا زال الطفل في برّ الأمان ولا زالت الأسرة كذلك في برّ الأمان ما دامت تهتم بدراسة ما يصدر عن الطفل من سلوك بالملاحظة والتتبع وما دامت تحرص على تفسير ما يصدر عنه في ضوء خصائص نموه والدوافع التي تحركه، وتدرس البيئة المحيطة به من المعاملة المنزلية والمدرسية لتعيد النظر في سائر الظروف المحيطة بالطفل، ولتوفر له إشباع حاجاته الجسمية، كتوفير الغذاء المناسب والملبس المناسب وإشباع حاجاته النفسية كالحاجة إلى المحبة والتقدير والعطف، وحاجته إلى الحرية

واللعب والانطلاق؛ تعبيراً عن نشاطاته المتدفقة وحاجته إلى التوجيه والإرشاد وحاجته إلى النجاح، مما يدخل في الدراسات التي يهتم بها علم النفس؛ معاونة له على اجتياز كثير من الأزمات التي يمر بها في حياته؛ نتيجة للتضييق عليه أحياناً، ولحرمانه من المحبة والعطف أحياناً أخرى، ولإنزال أقسى العقاب البدني به في حالة، ثالثة مما قد ينتهي به بالفعل إلى الانحراف عن طريق التربية السليمة^(١).

إننا نحاول في هذا الكتاب أن ندرس ظاهرة لجوء بعض الأطفال أحياناً إلى الكذب، وسوف نحلل بعض المواقف التي تؤدي إلى لجوء الطفل إلى الكذب، فنعرف أسبابه وصوره، وكيف يكون موقف الأب والأم والأسرة والمدرسة من هذه الظاهرة؟ بل وكيف نحميه من الوقوع بحق في براثن المشكلة معتمدين في ذلك على ما تقدمه الدراسات المطورة في علم نفس الأطفال، وعلى المبادئ والأسس التي أرساها ديننا الحنيف ليضمن النمو السليم لقوى الطفل واستعداداته بما يؤهله للتواءم الكامل في المجتمع المسلم.

(١) حامد زهران (١٩٧٧): الصحة النفسية والعلاج النفسي، القاهرة: عالم الكتب ص ٤٩ - ٥١.

تعرف طفلك

قال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً * حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ (الآية ١٥ الأحقاف).

يحرص كل صاحب مهنة أو حرفة على تعرف المواد التي يتعامل بها؛ فالنجار يعرف جيداً أنواع الخشب، ومصادره، وطريقة التعامل معه، وكيفية تصنيعه، وقدرة كل نوع من أنواع الخشب على الاحتمال، كما أنه يعرف طريقة حفظه وصيانته وتجديده.. إلخ.

والشيء نفسه يقال عن صانع الأبسطة والسجاد فهو يعرف أنواع الغزل والخيوط التي تستخدم في هذه الصناعة، ويعرف مصادرها وصلاحيات كل نوع منها للأغراض المختلفة، ويعرف كذلك كيفية التعامل مع أنواع النسيج اليدوية أو الميكانيكية، ويعرف الكثير عن الأصباغ التي تستخدم في صناعة السجاد وعن المساحات والأنواع المتوافرة في السوق.. والشيء نفسه يحدث في مجالات المهن المختلفة.

ومن المؤسف أننا - آباء أو معلمين - نتحمل مسؤولية خطيرة في تربية النشء، ولكننا لا نعرف إلا القليل عن خصائص نمو الأطفال الذين نتعامل معهم ونعدهم لتحمل المسؤولية.. أخطر مسؤولية للأجيال القادمة.

يتحدث البعض منا بثقة عن الاستعدادات الكامنة لدى الطفل منذ لحظة تكونه جنيناً في رحم الأم - لكننا قد لا نعتي كثيراً بتعرف العمر الزمني للطفل الذي تظهر فيه بعض تلك الاستعدادات.. وإذا كان البعض منا

يعرف أن تلك الاستعدادات التي يولد بها الطفل تشمل الاستعدادات للنمو الجسمي والعضلي والحركي، والاستعدادات العقلية تظهر على هيئة قدرات على الملاحظة والانتباه والإدراك، وقدرات على التفكير والتذكر والتخيل والتصور، إلى جانب قدرات على التحليل والتقييم والاستنتاج واستعدادات للنمو اللغوي تجعل الطفل قادراً من خلال نموه في السنتين الأوليين على ترديد بعض الألفاظ البسيطة مثل (بابا) و(ماما).

ثم هو في المرحلة التي تلي ذلك في السنة الثالثة والرابعة والخامسة من العمر طفل ثرثار كثير الأسئلة يحاول أن يفرض نفسه على الأسرة الصغيرة حوله ليقوم ببعض الأدوار التي يقوم بها الكبار فيها كالمعاونة في الأعمال المنزلية والمشاركة في مشاهدة التلفاز والخروج مع الأم أو الأب ليستكشف العالم خارج دائرة البيت الصغيرة.

وقد يعرف البعض منا كذلك أن الطفل يولد باستعدادات انفعالية وجدانية تعبر عن نفسها في مواقف شتى خلال سنين حياته الأولى في البيت.. بين البكاء والغيرة والخوف والاستطلاع والحب والبغض.. إلخ، وإذا كنا نصف طفل الثالثة من العمر بحدة الانفعالات وبثقله السريع من السرور إلى البكاء، ومن الحب إلى البغض.. فإن الاتزان الانفعالي الكامل للناشئ يرتبط بتكوين العواطف الثابتة المستقرة نحو الناس والأشياء حوله.. وهذا لا يتأتى إلا في مرحلة متأخرة نسبياً، بل إن هذا الاتزان الانفعالي لا يستقر تماماً إلا بعد اجتياز مرحلة المراهقة.

وقد يعرف البعض منا شيئاً عن النمو الخلفي للطفل الذي يظهر على هيئة قيم واتجاهات تميز سلوك البالغ الراشد... لكن طفلنا الصغير خلال الفترة الطويلة التي يقضيها في البيت منذ الميلاد حتى نهاية مرحلة التعليم الأساسي على الأقل يكتسب الكثير من القيم والاتجاهات السليمة من الأسرة

والمدرسة بالقُدوة الصالحة التي يجدها هنا وهناك وبالنصائح والإرشادات التي يجدها باستمرار لدى آبائه ومعلميه، ويمتصها كذلك من خلال المشاركة المطردة في حياة الجماعة التي ينتسب إليها، بل إن جوهر التربية الخلقية الصحيحة يمتصه الناشئ من دروس التربية الإسلامية والتزامه بأداب الدين وقيمه وأدائه لواجباته وفروضه من صلاة وزكاة وصوم وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

هذه لمحة عامة قصدنا بها أن نحرص على تعرّف طفلك بطريقة أكثر عمقاً^(١).

(١) حامد زهران (١٩٩٠م): علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) - ط ٥، القاهرة: عالم الكتب، ص

ص ١٩١-٢٤٠، ص ص ٢٨٦-٢٨٧.

لمحة عن خصائص النمو في المراحل العمرية المختلفة

يمر الطفل في حياته بأطوار متعددة من مراحل النمو، فهو في سن المهد غير في سن الحضانة ورياض الأطفال، غير في سن الصفوف الأولى من المدرسة الابتدائية، غير في الصفوف الأخيرة من تلك المدرسة.

وهو في المرحلتين المتوسطة والثانوية شاب يشارك في مناسط الحياة اليومية للكبار، يلتزم بالقيم التي يلتزمون بها، ويشاركهم أفكارهم ومشاعرهم، ويسهم معهم بنصيب في حمل أعباء الحياة التي يعيشونها، ويسلك ما يسلكون من سلوكيات الحياة.

ومن الظلم للطفل الصغير في الثالثة أو الرابعة أو الخامسة أو حتى السادسة من العمر أن نطلب منه أن يلتزم بالمعايير التي يأخذ بها الكبار في حياتهم..

فطفل الثالثة - على سبيل المثال - يكثر من الأسئلة عن أسماء الأشياء التي تقع تحت بصره وسمعه في المكان الذي يوجد فيه، وهو يكرر السؤال نفسه مراراً وتكراراً.. ونحن الكبار لا ينبغي أن نطالبه بالسكوت أو الكف عن الأسئلة والالتزام بالأدب والصمت؛ لأن أسئلة الطفل الكثيرة نشاط طبيعي تلقائي لدى معظم أطفال هذه السن يحصلون عن طريقها على الكثير من المعلومات والألفاظ والأسماء للعالم الذي يعيشون فيه، فضلاً عن أنهم يكتسبون الثقة بالنفس عندما نستمع إليهم ونجيب عن أسئلتهم، ويشعرون أنهم نظراء لنا يتحدثون معنا فنستمع إليهم، ونجيبهم عما يسألون.

وطفل الرابعة كثير الحركة يتسلق ويقفز ويثب، ويضرب الأرض
بقدميه، ويصل إلى الأشياء الموضوعة بعيداً عنه ويصر على حمل
الأشياء بصرف النظر عن وزنها، يريد أن يثبت قوته وسيطرته على
العالم، وعبثاً نحاول أن ننشيه أو أن نطلب إليه التوقف؟ فنشاطه تلقائي
طبيعي، من الخير له ولنا أن نوفر له الطريق الصحيحة لإشباعه، ولا
يمكن أن نفرض عليه الالتزام بالأدب والجلوس - كما يجلس الكبار -
مستقراً دون حركة.

وطفل الخامسة كثيراً ما نجده مشغولاً بلعبه أو بالعالم الخاص الذي
يهئيه لنفسه، فهو يوظف كل ما يقع تحت يده فيما يسمى (باللعب
الإيهامي)^(١).

فالعصا يركبها لتصبح حصاناً يقفز به في أرجاء الحجرة، ويخاطبها كما يخاطب
الفارس حصانه. والمنضدة يقلبها لتصبح عربة يجرها في كل مكان. ونراعه
يفردهما ليصيرا جناحي طائرة، وغطاءات الزجاجات الفارغة تصبح أطباقاً يدور
بها وكأن بها طعاماً.

وقد يجمع حوله غيره من الأطفال ليقوم بدور الأب والأم أو المعلم يلقي
بتعليماته، ويؤكد لهم أنها يجب أن تطاع، وقد يقلد الشرطي فيقف في منتصف
الحجرة لمنع المرور بحجة أن الإشارة حمراء..

وكل هذه أنواع من اللعب التمثيلي الإيهامي، يهيا للطفل فيها أنه يعيش في عالم
واقعي جاد محسوس^٢. ومن وجهة نظر التربية فإن هذا اللعب يمثل مرحلة مهمة

(١) حامد زهران: علم نفس النمو - الطفولة والمراهقة، طبعة خامسة، ١٩٩٠م القاهرة، عالم

في تكوين الشخصية الاجتماعية للطفل؛ لأنه يساعده على فهم ما يدور حوله في المجتمع، وتقبل الأتوار التي تنتظره كفرد في هذا المجتمع.

ولا ينبغي أن يتصدى للكبار للطفل بالمنع والإعاقه والتدخل أو السخرية من العمل الذي يقوم به؛ لأنه نشاط طبيعي تلقائي في مرحلة مبكرة من العمر يعد الطفل لحياته في المراحل التالية.

وطفل السادسة عندما يذهب إلى المدرسة يجد أسلوباً مختلفاً من المعاملة؛ فهو الآن مسؤول عن الاستيقاظ في وقت باكر في الصباح، وهو مسؤول عن حمل أدواته المدرسية، وعن مواجهة المعلم أو المعلمة، وعن معيشة غيره من الأطفال الآخرين، وعن أداء الواجبات المدرسية. وهو عرضة للوشاية به لدى المعلم أو المعلمة من الأطفال الآخرين في سنه، ومن زملاء فصله عندما يغارون من ملبسه، أو من مظهره، أو عندما يحسدونه على ما يكتنيه من لعب وأدوات... فهذا طفل يدعي عليه أنه يأخذ أغراضه، وهذا طفل آخر يقول عنه: إنه ضربه، وهذا ثالث يقول عن آخر: إنه يعطله عن الكتابة.

وهذا طفل لم يعمل الواجب المنزلي، وذلك طفل آخر يعجز عن تقليد خط المعلم أو المعلمة.. وهذا طفل ثالث قد ضاع منه قلمه فجلس دون عمل.. ومن ينبغي هؤلاء جميعاً من عقاب المعلم أو المعلمة إذا لم تمنح من الله هبة الصبر على الأطفال، ومن قبل المسؤولين الإعداد من أجل تكوينها كمعلمة تفهم بطريقة صحيحة سلوكيات الأطفال. ونوع العقاب الذي يمكن أن توقعه بهم..؟
والطفل قد يلجأ إلى أساليب طفلية ليحمي نفسه من العقاب.

(٢) عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، الطبعة التاسعة - القاهرة ١٨٩١م، النهضة

في الأمثلة العديدة التي طرحناها قد يلجأ الطفل إلى أساليب طفولية مختلفة ليحمي نفسه من عقاب السلطة المربية.

فهو قد يعذُ بالكف عن القفز والتسلق والوثب، ولكنه سرعان ما ينسى وعده تحت وطأة نشاطه العضلي المتدفق، فيعود ويعود إلى ما وعد بالكف عنه.

وهو قد ينسب إلى غيره من الأطفال ما لم يفعله حماية لنفسه من قسوة العقاب، لو ترفاً إلى السلطة المشرفة وتقرباً إليها.

وقد ينسب إلى نفسه إنجاز عمل (كواجب مدرسي مثلاً) لم يعمله هو، وإنما عمله غيره بغرض تفادي اللوم والعقاب.

الدوافع التي تحرك سلوك الطفل

إن ما نشاهده باستمرار من أطفالنا هو (السلوك الظاهري) الذي نلاحظه باهتمام أحياناً وبعدم الاكتراث أحياناً أخرى في البيئة (المنزل - المدينة - المجتمع) - لكننا قل ما نفكر في القوى الكامنة في الطفل والتي تعتبر الطاقة المحركة لذلك السلوك.. وتلك القوى هي ما يعبر عنه بالدوافع، والواقع.. ويظل الفرد في حالة من القلق حتى يشبع هذا الدافع أو الدوافع - فالإنسان الجائع يظل في حالة توتر وقلق حتى يجد الطعام فيأكل فيشبع الدافع الذي ظل مسيطراً عليه لفترة معينة وهو دافع الجوع. والبحث عن الطعام يستوي فيه الصغار والكبار..

والصغير في الثالثة أو الرابعة من العمر إذا ما شاهد أمه تلبس ملابس الخروج لزيارة إحدى القريبات نجده في حالة من التوتر المطلق إذا ما أحس أن أمه ستتركه في البيت تحت رعاية الإخوة أو الخادم... فهو يجري هنا وهناك يجمع حذاءه وملابسه ويصرخ طالباً عون القريبين منه في مساعدته على اللبس ليقف بجوار باب المسكن ينتظر لحظة خروج الأم ليتشبث بها مستعيناً بالصراخ والبكاء - وربما كان الدافع في هذه الحالة الأخيرة هو الكشف والاستطلاع للعالم خارج البيت، كما أنه قد يكون طلب الأمن والأمان في مصاحبة الأم وعدم مفارقتها، بل قد يكون كذلك رغبته في الحصول على شيء من الحلوى التي تقدم للزائرين عند الجيران والأقارب، كما قد يكون خشية الوحدة في غياب الأم أو العقاب من بعض المحيطين به.

هذان مثالان للدوافع المحركة للسلوك، ونحن إذا ما أمعنا في حياتنا اليومية سوف نجد أنه ما من سلوك تقوم به إلا ووراءه دافع، من ذلك مثلاً

النشاطات التي نقوم بها لجمع المال والتي نقوم بها لكسب محبة الآخرين،
وتلك التي نقوم بها إرضاء لوجه الله تعالى وطمعاً في ثوابه وجنته.

والدوافع بهذا الوصف قد تكون دوافع أولية كالجوع والإخراج والنوم
والعطش.. وهذه يترتب على عدم إشباعها إضرار جسيم بحياة الإنسان،
وقد تكون دوافع ثانوية ترتبط بالوظائف الاجتماعية التي يقوم بها الإنسان
في المجتمع مثل السعي للحصول على النجاح والتقدير والسعي للحصول
على محبة الآخرين ورضاهم، والنضال من أجل الحرية، والسعي للاقتناء
والملكية، والحاجة إلى الخضوع لسلطة ضابطة موجهة هي النظم
الموضوعة أو التعاليم الإسلامية، ويترتب على عدم إشباع هذه الطائفة
الثانية من الدوافع خلل في توافق الفرد وتكيفه مع بيئته، وقد يدفعه إلى أن
يسلك طرقاً لا يقرها العرف ولا المجتمع ولا الدين^(١).

(١) محمود الزياي (١٩٧٨م): أسس علم النفس العام، ط ٢. القاهرة: مكتبة سعيد رافت ص ٢٩٧

علم النفس يهتم بدراسة الدوافع

لأن موضوع الدراسة في علم النفس هو (السلوك) فقد ركزت مباحث علم النفس خلال القرنين الأخيرين على تقديم تفسيرات نظرية توضح القوى المنشطة والمحركة لهذا السلوك.

الغرائز محاولة لتفسير السلوك

نادى فريق من علماء النفس في القرن التاسع عشر وعلى رأسهم (مكدوجل) بأن الإنسان يولد في هذا الكون مزوداً باستعدادات عصبية فطرية نفسية تجعل هذا الإنسان ينتبه إلى موضوعات معينة فيدركها، فينفعل بانفعال خاص فينزع نزوعاً معينة، وأطلقوا على ذلك الاستعدادات الفطرية العصبية النفسية اسم الغرائز، واجتهدوا في حصر الغرائز التي يولد بها الطفل الآدمي والتي يشترك معه فيها بعض الحيوانات وقدموا قوائم مختلفة بالغرائز التي أدركوا أثرها في السلوك، ومن ذلك غريزة البحث عن الطعام، وغريزة السيطرة، وغريزة الجمع والاقتناء، وغريزة الخوف، والغريزة الجنسية، وغريزة المقاتلة، وغريزة حب الظهور...إلخ. وركز هؤلاء العلماء على أن للغريزة أركاناً ثلاثة تحكم السلوك الغريزي وهذه الأركان تبدأ بـ :

١- الإدراك. ٢- الجانب الوجداني الانفعالي. ٣- النزوع.

فالإنسان أو الحيوان يدرك وجود الطعام فيحس الجائع بانفعالات حشوية صادرة عن المعدة والأمعاء فينزع إلى تناول الطعام.

وبالمثل فإن الإنسان يدرك مصدر الخطر (حيوان مفترس، نار مشتعلة... إلخ) فينفعل بانفعال خاص هو (الخوف)، فينزع أو يسلك بطريقة معينة هي (الهرب).

وكان لنظرية (الغرائز) أنصار عديدون منهم (آدلر) الذي نسب سائر مظاهر السلوك الإنساني إلى غريزة واحدة هي (غريزة السيطرة)، ومنهم كذلك (فرويد) الألماني والذي قال بأن سائر مظاهر السلوك الإنساني تسعى لغاية واحدة هي (الحصول على الجنس الآخر).

وأياً كان موقف المدارس المختلفة من (نظرية الغرائز) فقد ثبت في الدراسات الحديثة أن محاولة حصر الغرائز في عدد معين أو التوسع فيها ليشمل أكثر من غريزة لا تكفي وحدها لتفسير دوافع السلوك الإنساني^(١).

الحاجات النفسية لتفسير السلوك

ظل موضوع دوافع السلوك الإنساني لفترة طويلة الشغل الشاغل لعلماء النفس وكل فريق، منهم يقدم التفسيرات التي تعبر عن المدارس التي ينتمي إليها.

ونادى علماء النفس الاجتماعي بأن المسؤول عن ظهور السلوك الإنساني هو وجود أي حيد عن الشروط البيئية المثلى اللازمة لتوافق الإنسان (أو الحيوان) مع بيئته..

فالتركيز هنا على أهمية الشروط البيئية المثلى وهي تتضمن بالطبع توفير الأمان في البيئة، وتوفير المحبة والعطف، من مأكّل، وتوفير الحرية للكائن الحي بما لا يضر بالغير، وتوفير الحاجات الأساسية من مأكّل

(١) صلاح مخيمر (د. ت) في علم النفس العام...، القاهرة: مكتبة سعيد رأفت ص ١٣١-١٥٥.

وملبس ومشرب؛ لأنه إذا لم تتوافر هذه الشروط نشأت الحاجة، والحاجة تجعل الإنسان يعاني التوتر والقلق حتى تتعدل الشروط البيئية لتوفر له ما يحتاج إليه فيتم اختزال الحاجة ويعود الاتزان إلى الكائن الحي وتتم المواءمة بينه وبين البيئة مرة أخرى.

إننا ونحن نتصدى لمعالجة المشكلات السلوكية للأطفال لا نستطيع اتخاذ أي خطوة صحيحة نحو علاج المشكلات ما لم يتوافر لنا فهم كامل عن خصائص نمو الطفل في النواحي الجسمية والعقلية والانفعالية والخلقية إلى جانب فهم الدوافع المحركة لسلوكه ومراجعة الظروف البيئية المحيطة به ليتسنى لنا توجيه هذه البيئة بما يحقق النمو السليم المتكامل للطفل.

دراسات التعلم الإنساني

يخصص علم النفس التعليمي جانباً كبيراً من مباحثه لدراسة التعلم الإنساني.. كيف يتعلم الطفل؟ وبمعنى آخر كيف يتم تعديل السلوك الذي يقوم به الآن إلى مستوى آخر تقبله الأسرة وتقبله المدرسة ويقبله المجتمع؟ ومن حسن الحظ أن فترة الطفولة في حياة الكائن الحي تمتد لسنوات طويلة يكون فيها تحت أعين الأسرة والمدرسة يتوليانه بالتعليم والتوجيه وينقلانه من أنماط من السلوك إلى أنماط أخرى أصلح وأفضل.

وإسهامنا في حل المشكلة السلوكية للأطفال هو دور نقوم به في تعليم الناشئ لأنواع أخرى من السلوك أكثر قبولاً في الوسط الاجتماعي.. ولكن هل يتسنى لنا أن نقوم بالتعليم، ونحن لا نعرف شيئاً عن كيف يتم التعليم؟ هل نترك الطفل يتعلم بالمحاولة والخطأ مع ما في ذلك من مخاطرة قد تضر بتكوينه الجسدي والنفسي؟ وعلى سبيل المثال إذا لاحظنا أن الطفل قد

بدأ يندمج في رفقة سوء - هل نتركه حتى يجره هذا السلوك إلى الوقوع تحت طائلة النظم؟

هناك حدود معينة لترك الطفل يجرب ويخطئ ويتعلم من خطئه فقد يصلح ذلك في تعلم مسألة هندسية أو حسابية أو حل لغز من الألغاز... لكنه لا يصلح إطلاقاً لتعلم الميول والاتجاهات والقيم والمفاهيم الصحيحة في كل ما يخص حياة الإنسان.

يمكن أن نرتب الموقف التعليمي فيما يتصل بالمعاونة على حل المشكلات السلوكية للناشئة واستبصاره لجوانب المشكلة، وهذا ما يطلق عليه (التعلم بالبداهة والاستبصار) حيث تشترك الوظائف العقلية والذكاء والخبرة السابقة في تحديد التعلم المطلوب بفضل الإعداد الجيد للموقف التعليمي وتنظيم مجاله.

كذلك يمكن أن يتم التعلم باشتراك المتعلم في تحديد المشكلة وحصر أبعادها ودراسة الحلول الممكنة للتخلص منها، والاتفاق على الأخذ بأحد هذه الحلول بحيث يتحمل العميل مسؤولية التنفيذ وأن يدرّب على تقويم مدى التقدم الذي حدث عن طريق إيدال سلوك جديد بالسلوك غير المرغوب فيه^(١).

إن توظيف مباحث التعلم الإنساني في المعاونة على حل المشكلات السلوكية للناشئة أمر لا غنى لنا عنه نحن الآباء والمعلمين والمرشدين النفسيين - إذ تمدنا هذه الدراسات بفيض وافر من المعلومات عن طريقة تكون المدركات، وعن أهمية تنظيم وترتيب الموقف التعليمي، وعن كيفية

(١) رمزية الغريب (١٩٧١) التعلم: دراسة نفسية تفسيرية وتوجيهية. القاهرة: الأنجلو المصرية

استخدام أساليب التعزيز الإيجابي والسلبي في تثبيت السلوك الناجح للمتعلم عندما يتحقق له بعض التقدم على طريق الخلاص من المشكلة.
ومن حسن الحظ أن المصادر في موضوع التعلم عديدة يمكن أن يفيد منها الآباء والمعلمون وغيرهم.

الإرشاد والتوجيه

من فروع علم النفس الحديثة ذلك الفرع الذي يضع الأسس السليمة للاستفادة من مباحث الإرشاد والتوجيه في معاونة العميل على التخلص من مشكلته. ومن أهم المبادئ في الإرشاد والتوجيه توفر الثقة الكاملة بين الموجه والعميل، وترك الحرية للعميل للتحدث بإفاضة عن سبب المشكلة ونشوتها، والمعاملة المنزلية والمدرسية التي يلقاها ومنها أن يسود المقابلة جو من التقدير المتبادل مع التعاطف مع صاحب المشكلة وعدم التهويل في حجمها وأن يؤخذ في الاعتبار سائر الظروف المحيطة بالعميل في تكوينه الشخصي وفي الوسط الذي يعيش فيه..

وقد يسفر إن الإرشاد والتوجيه تغيير الفصل أو المدرسة التي يذهب إليها الطفل، كما قد ينتج عنه تعديل اتجاهات ومواقف الأبوين نحو صاحب المشكلة، وقد يسفر عن توجيه العميل إلى الفحص الطبي لوجود مشكلة صحية عميقة الجذور.. كما يصاحب التوجيه والإرشاد غالباً لقاءات مع سائر المحتكين بالطفل في البيت ومع معلمي المدرسة لتكتمل الصورة عن المشكلة^(١).

(١) حامد زهران (١٩٨٠): التوجيه والإرشاد النفسي، ط٢، القاهرة: عالم الكتب ص ٢٣-٢٦.

لماذا يكذب الأطفال

١ - الخوف من العقاب:

لعل من أكثر بواعث الطفل على الكذب (الخوف من السلطة) ممثلة في الأب أو الأم أو المعلم أو أحد الذين يوكل إليهم تربية الطفل وتأديبه.

والحق أن الآباء والمعلمين ينسون التوجيه النبوي الكريم في الحديث الذي يوصي بملاعبة الطفل سبعاً وبتأديبه سبعاً وبمصاحبته سبعاً.. فقد قال رسول الله ﷺ: ((لاعبه سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم اترك له الحبل والغارب)) رواه البيهقي.

فبعض الآباء والمعلمين يعتقدون أن الحنو الزائد على الطفل وتدليله غالباً ما يؤدي إلى فساد تربية الطفل، وهناك مثل إنجليزي يقول: Spare the rod and spoil the child فأي ذنب يرتكبه الطفل يستأهل العقاب القاسي حتى لا يعود إليه.. فإذا قصر الطفل في أداء واجب منزلي لأي سبب من الأسباب أو إذا كسر كوباً أو عبث ببعض الأثاث المنزلي أو ترك الطعام ينسكب على ثيابه أو حتى يبول تبولاً لا إرادياً وهو نائم، كل هذه أنماط من السلوك يمكن أن يقع فيها أي طفل ولا تستأهل القوة الزائدة، وإنما يمكن معالجتها بتعرف الأسباب، والوقاية خير من العلاج.

لذلك فإن الطفل وقد عرف من خبرته السابقة مع الأب أو المعلم أنه سوف يلقي الجزاء القاسي لما فرط فيه من أمور - نجده يلجأ إلى انتحال الأعذار أو إلى نسبة الخطأ إلى غيره من الأطفال.

لتأتي لهن بالمزيد من المفارش.. وانكشف الأمر عندما قابل صائغ الذهب والد التلميذة وسأله عن مدى رضاه عن الأساور التي أخذتها ابنته.. وبالطبع لم يكن يدري عنها شيئاً.

كان سلوك التلميذة في هذه الواقعة مدفوعاً برغبتها في كسب رضا المعلمة، وربما في الحصول على مكانة متميزة على هذا الأساس بين غيرها من التلميذات وكان الكذب وسيلتها، ولولا حكمة الأب وحكمة مديرة المدرسة لكان سلوك المعلمات محلاً للتحقيق بواسطة أجهزة الشرطة.

ومن الكذب الذي يقوم به الطفل سعياً لإرضاء السلطة لجوئه إلى من يعمل له الواجب المنزلي أو يرسم له خريطة أو يصنع له مجلة.. يقدمها للمعلم على أنها من إنتاجه هو بأمل أن يحظى بتقدير المعلم له ومكافأته بعلامات سخية.

إن مسؤولية السلطة في مثل هذه المواقف واضحة، فالعدل في المعاملة بين التلاميذ والإصرار على العلاقة المهنية السليمة بين المعلم والتلميذ لا تترك لمثل هذا النمط من الكذب سبيلاً.

وإن أخطر ما يمكن أن يؤدي إليه هذا النمط من الكذب - إن لم تمنعه وتقف له بالمرصاد - تخريج جيل يحسن التزلف إلى السلطة، وربما يلجأ إلى رشوتها لكي يحقق مآربه في الحياة.

٣- السعي لإثبات الذات والحصول على مكانة اجتماعية:

المفروض أن المدراس العامة (الحكومية) أماكن لتذويب الفوارق بين الطبقات لا فرق فيها بين ابن وزير وابن خفير؛ فالكل سواسية يجلسون على مقاعد نمطية، ويعلمهم معلم واحد، وتصرف لهم كتب موحدة، ويخضعون جميعاً للمعايير نفسها في الترفيع أو في الرسوب والإعادة.

ومع ذلك فإن بعض الأبناء الذين يفدون إلى المدرسة من مناطق محرومة نسبياً يحسون بالنقص في مجتمع الفصل أو مجتمع المدرسة أو لشراء الحلوى أسوة بغيرهم من تلاميذ المدرسة.

وقد يلجأ هؤلاء إلى تعويض الشعور بالنقص عن طريق ادعاء بعضهم كذباً بأنه يسكن حياً من الأحياء الراقية، وأن لدى أسرته عدداً من السيارات الفاخرة، وأن أحد الوزراء هو قريب لصديق بهم.. إلخ، يأملون بذلك أن يثبتوا ذواتهم ويحصلوا على المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها غيرهم من التلاميذ.

وللأسرة دور هنا بأن تحرص على رفع معنويات الطفل، فالعبرة ليست بالحسب أو النسب ولا بالجاه أو الثروة، وإنما بالعمل والاجتهاد والتفوق – هذا إلى جانب أن الأسرة تبذل جهداً لتوفر لابنها حاجاته الأساسية دون سرف أو تفريط.

كما أن على هيئة التعليم هي الأخرى دوراً كبيراً في مثل تلك الحالات، فالمعلم يقوم أعمال التلاميذ بجودتها ووفائها بالمطلوب.. وقد يكون من بين التلاميذ الوافدين من أحياء محرومة من يتفوق بكثير على أقرانه الذين يسكنون أحياء راقية كما أن العبرة هي بدمائة الخلق ولين الطبع ورقة الجانب^(١).

وأنه ((لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)).

(١) حامد زهران (١٩٨٤): علم النفس الاجتماعي. ط٥، القاهرة: عالم الكتب ص ١٠١-١١٣.

ومن الأسف أن بعض المعلمين يرتكبون أحياناً أخطاء كبيرة في حق تنشئة هؤلاء الأطفال؛ فالمعلم الذي يعطي الأطفال هالة كبيرة عن إعدادهم ومواهبه وقدراته يعلمهم الكذب، وسوف يكتشفون عندما يصلون إلى سن التاسعة أو العاشرة أنه ليس هناك إنسان يتصف بالكمال، ويعرفون أن معلمهم كان يكذب عليهم.

والمعلم الذي يخلق باب الفصل على التلاميذ ويطلب إليهم الصمت والهدوء، ويعين عليهم منهم بعض الرقباء ليكتبوا له أسماء من يتجراً بالخروج على النظام، بينما يشغل نفسه هو داخل حجرة الدراسة بعمل خاص لا يستفيد منه التلاميذ. يعلمهم الكذب؛ لأنهم سرعان ما يكتشفون أنه يكذب عليهم وعلى الآباء وعلى إدارة المدرسة؛ فبدلاً من أن يؤدي واجبه في تعليمهم يشغل نفسه بعمل خاص.

ومدير المدرسة الذي يوافق على عرض بعض اللوحات التعليمية في معرض المدرسة على أنها من إنتاج التلاميذ وهي في الحقيقة غير ذلك يعلم تلاميذه الكذب.

والمعلم الذي يسمح لنفسه بأن يقدم كشوفاً لإدارة المدرسة تحوي علامات تمثل أعمال السنة للتلاميذ لكنها غير مطابقة للواقع.. ثم تذهب العلامات إلى الآباء فيراها التلاميذ ويكتشفون أنها بعيدة عن الواقع هو معلم يعلم تلاميذه الكذب.

والمعلمة التي تكتسي أبهى الثياب بين يوم وليلة إذا ما أعلن أن ضيوفاً سوف يزورونها أو أن أحد كبار رجال الوزارة سيقوم بجولة فيها هي مدرسة تعلم تلاميذها الكذب.

هذا فضلاً عن أن النظم المدرسية، واعتماد الإدارة المدرسية على العقاب، وعدم وجود فرص لمشاركة العاملين في المدرسة والتلاميذ في

- إعداد الآباء والأمهات إعداداً طيباً دينياً وعلمياً وتربوياً؛ فهما القدوة والمثل الأعلى للطفل.
- يكون المربون للطفل قدوة طيبة لا يكذبون في أقوالهم وأعمالهم.
- يكون ما يقدم للطفل من مواد ثقافية وتعليمية مُعداً إعداداً جيداً يتفق وتعاليم الإسلام الحكيم وفق ما جاء بالقرآن الكريم وصحيح سنة رسول الله ﷺ، وسيرة صحابته عليهم رضوان الله أجمعين.
- الأخذ بكل جديد عصري مفيد في علوم التربية والصحة النفسية والعلوم التي تُعنى بالطفل وتربيته حتى تتوافر له الحماية والوقاية من الأمراض النفسية، على أن يكون ذلك الحديداً متفقاً وتعاليم الإسلام.
- الإشراف الفني الدقيق على كل ما يُقدم للطفل من مواد ثقافية وألعاب تربوية.
- إعداد الحدائق الجميلة والنوادي الرياضية والثقافية لتشبع حاجات الأطفال الجسمية والعقلية والنفسية.

AL-OBEIKAN



06 000146

الردمك: ٥ - ٣٢٥ - ٢٠ - ٩٩٦٠